أغراض الشعر في عصر صدر الاسلام

أغراض شعرية جديدة :

أ. شعر العقيدة والدعوة : أن لفظ الدعوة مصطلح أسلامي يطلق على ما دعا أليه رسول الله (ص) وهو الدخول في دين الاسلام . قال تعالى :(**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**) والرسول (ص) هو الداعي **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)** وشعر الدعوة هو ذلك الشعر الذي دعا فيه المسلمون المشركين لترك عبادة الاصنام والدخول في الدين الجديد وتشتمل هذه الاشعار بما يأتي :

١. **التبرئة من الاصنام** : فهذا ذياب بن حارث السعدي التميمي أسلم وحطم صنم قومه (قراض) وأعلى اسلامه فقال :

تَبِعْتُ رَسُولَ اللهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى ... وَخَلَّفْتُ قَرَّاضًا بِدَارِ هَوَانِ

شَدَدْتُ عَلَيْهِ شِدَّةً فَتَرَكْتُهُ ... كَأَنْ لَمْ يَكُنْ وَالدَّهْرُ ذُو حِدْثَانِ

فَلَمَّا رَأَيْتُ اللهَ أَظْهَرَ دِينَهُ ... أَجَبْتُ رَسُولَ اللهِ حِينَ دَعَانِي

فَأَصْبَحْتُ لِلإِسْلامِ مَا عِشْتُ نَاصِرًا ... وَأَلْقَيْتُ فِيهَا كُلْكُلِي وَجِرَانِي

ويدعوا شاعراً آخر الى ترك عبادة (أللات) لأنها حجارة لاتستطيع ان تدفع الاذى عن نفسها فكيف تستطيع ان تنصر من يعبدها ، قال شداد بن عارض :

لاتنصروا اللات أن الله مُهلكُها ... وكيف ينتصرُ من هو ليس ينتصرُ

أن التي حرقت بالسد فأشتعلت ... ولم تقاتل لدى أحجارها هدرُ

ويقال ان الرسول الكريم (ص) لما بعث خالد بن الوليد ليكسر الاصنام في الكعبة ذهب الى صنمه (العزى) وكسره وهو يرتجز مخالفاً تسبيح المشركين أيام عبادتهم فقال :

يا عز كفرانك لاسبحانك ..... إني رأيت الله قد أهانك

٢. محاجّة المشركين :

أعلن كثير من الشعراء تبرئتهم من عبادة الالهة ، لانهم آمنوا توحيد الله والدعوة الى عبادته . كان جبير بن زهير قد أسلم قبل أخيه كعب بن زهير فأرسل أليه يدعوه الى الايمان بالدين الاسلامي وتوحيد الله قائلاً :

من مبلغ كعبا فهل لك في التي — تلوم عليها باطلا وهي احزم

الى الله لا العزى ولا اللات وحدها — فتنجو اذا كان النجاء وتندم

لدى يوم لاينجو وليس بمفلت — من النارالا طاهر القلب مسلم

فدين زهير وهو لاشي دينه — ودين ابى سلمى علي محرم

وحين سمع كعب اخو جبير باسلام اخيه استاء وكتب اليه محاولا دعوته لترك الايمان بالدين الاسلامي منكرا اليه اعترافه بنبوة محمد (صلى الله عليه واله) قائلا :

الا بالغا عني بجبيرا رسالة — فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا
سقيت بكاس عند ال محمد — فأنهلك المامون منها وعلكا
فخالفت اسباب الهدى وتبعته — على أي شيء ويب غيرك دلكا

وأسلم الطفيل بن عمرو الدوسي فهددته قريش وأوعدته بالقتل فلم يتراجع عن إسلامه فقال :

ألا بلغ لديك بني لؤي — على الشنان والغضب المرد
بأن الله رب الناس فرد — تعالى جدهُ عن كل جد
وأن محمداً عبد رسول — دليل هدى وموضع كل رشد

وهناك اشعار كثيرة وردت خلال قصائد الشعراء المسلمين حين يردون على شعراء المشركين أو حين يتذكرون الوقائع والفتوحات ويصفون أنتصار المسلمين وأيمانهم والتفافهم حول الرسول(ص)

٣. مناقشة المرتدين :

وهي تلك الابيات التي قيلت في حروب الردة يناقش فيها الشعراء المسلمون المرتدين ويدعونهم الى التعقل وعدم الخروج على دين الله . وقد قال المرتدون اشعاراً ايضاً وقد اصاب أشعار الجانبين الضياع نظراً للحروب الطاحنة ، ولتحرج المسلمون من روايتها . وان ما وصل منها لايتجاوز الابيات والمقطوعات . ونجد في تلك الابيات

التي قيلت في لحظات سريعة ومضات تصور ثبات العقيدة في نفوس المسلمين ودفاعهم عنها .
و يتالم شاعر اخر فينفث نفثة حسرة على مراى قبيلته مرتدة و اتباعها دعوة الدجال طلحة الكذاب فيقول :

لهفي على اسد اضل سبيلهم بعد النبي طليحة الكذابُ

وهذا فاتك بن زيد العبسي يهجو قومه تميم حين اعلنوا ردتهم و يحاول ان يدعوهم للعودة الى دين الله ويذكر مالك بن نويرة سيد تميم بعذاب النار قال:

قلت يا مال ان ربك حي فاعبدنه ودن بدين الرسول
انها ردة تقود الى النار فلا تولعن بقال و قيل

أما بنو عامر فأنهم ارتدوا عن الاسلام ، ومنعت الزكاة عن بيت المال واضافت تعطيلاً آخر وهو تزك الصلاة وفي هذا يقول آحد الشعراء :

لعمري لئن اجمعت عامر على كفرها بعد اسلامها
و مناهم قرة النزهات لقد رزئت عظم احلامها
اضاع الصلاة بنو عامر واهلكها منع انعامها
وفي منعها الحق سفك الدماء ووصم النساء لأيتامها

يقول يمامة بن اثال الثقفي عن دعوة مسيلمة الكذاب وسجعه التأثير في الناس :

دَعَانَا إِلَى تَرْكِ الدِّيَانَةِ وَالْهُدَى مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ إِذْ جَاءَ يَسْجَعُ
فَيَا عَجَبًا مِنْ مَعْشَرٍ قَد تَتَابَعُوا لَهُ فِي سَبِيلِ الْغَيِّ وَالْغَيُّ أَشْنَعُ

وهذا امرؤ القيس بن عباس أرتد قومه فخالفهم وثبت على دينه وحاول ان يدعوهم الى الرشاد فأبوا، فلم يجد بدأ بارسال رسالة شعرية الى الخليفة أبي بكر (رض) يعلن ثباته على دينه وتبرئته من ردة قومه وارتحاله عنهم فقال: -

ألا أبغ أبا بكر رسولاً وأبلغها جميع المسلمينا
دعوتُ عشيرتي للسلم حتى رأيتهم أغاروا مفسدينا
فليس مجاوراً بيتي بيوتاً بما قال النبي مكذبينا
ولا متبدلاً بالله رباً ولا متبدلاً بالدين دينا

٤. **العودة الى الاسلام مرة اخرى :**

وهناك بعض المقطوعات التي اعلن فيها اصحابها التوبة والعودة الى الاسلام، وهي اشعار قليلة نظراً لكثرة القتلى في تلك الحروب بين المسلمين والمرتدين ، يقول جندب بن ابي سلمى :

قـدمت وايقنـت الغـداة بـانني اتيـت التـي يبقـى علـى المـرء عارهـا
شهدت بان الله لاشيء غيره بني مدلج فالله ربي و جارها

و يلاحظ ان معظم هذه الاشعار لا تتجاوز الابيات المفردة او المقطوعات القصار و اصحابها لا يمكن ان يدرجوا ضمن الشعراء قدر كونهم مصورين لمواقف اقتضاها الثبات على العقيدة والدين .

ب. شعر الجهاد والفتوح الاسلامية :

ان التغني بالبطولة والامجاد ظاهرة ادبية موجودة في ادب ما قبل الاسلام عرفناها في ادب الفروسية وشعر ايام العرب او مفاخر الشعراء بقبيلتهم الذي يجعلهم يمجدون بطولات فرسانهم او يشيدون ببطولاتهم بالذات دفاعا عن القبيلة او اخذا للثار الى غير ذلك من المعاني التي دارت على السن الشعراء الفرسان عند عنترة بن شداد وشعراء الصعاليك مثل عروة بن الورد والسليك والشنفري وغيرهم من الشعراء الا ان شعر الفروسية هذا قد تطور في العصر الاسلامي وقد خلت فيه مفاهيم جديدة اغنته و اعطته طابعا خاصا حين ابتعد الشعراء الفرسان عن العصبية القبلية او الهوى الشخصي ، واكتسبت اشعار البطولة عندهم طابعا دينيا مبعثه الايمان بالله تعالى وبرسوله وبالاسلام ديناً ، والشهادة في سبيل الله والنصر على الاعداء .
ومضامين هذا الاتجاه تتحد فيما ياتي :

١. الثبات على العقيدة في مكة :

وقد ظهرت هذه الصورة منذ فجر عصر الدعوة الاسلامية فمنذ ان ظهر الاسلام بمكة وقريش والمشركون يحاولون ان يثنوا المسلمين عن الدين الجديد بشتى الطرق والوسائل فلما اعياهم ذلك لجاوا الى القوة والبطش وتعذيب المسلمين ، وقد وصلت بعض الموضوعات التي عبر فيها اصحابها عما يلاقونه من عذاب وهول على ايدي المشركين فهذا خبيب بن عدي الانصاري الذي قتله المشركون بمكة يدعو الله – قبل قتله – ان يصبره على تحمل اذى المشركين وهو غير خائف من القتل انما هو خائف على عقيدته من ان تضعف فقال في ذلك :

فذو العرش صبرني على ما اصابني فقد بضعوا الحمى وقد ضل مطمعي
وما بي حذار الموت اني لميت ولكن حذار حر نار ملفع
ولست ابالي حين اقتل مسلما على أي حال كان في الله مصرعي

وحين عذب المشركون عمار بن ياسر وأباه وأمه وعدداً من المسلمين ، فيعلن عمار عن ثباته على الاسلام وصبره على الاذى ، ودعوته النجاة من أذى الكفار ، وكان العذاب الذي سلطه الكفار على بلال بن رباح الحبشي مثالاً للصبر والثبات قال عمار بن ياسر :

جزى الله خيراً عن بلال وصحبه عتيقاً واخزى فاكهاً وأبا جهل
عشية هما من بلال بسوءة ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل
بتوحيده رب الأنام وقوله شهدتُ بأن الله ربي على مهل
فإن يقتلوني فلم أكن لأشرك بالرحمن من خيفة القتل

٢. **الهجرة في سبيل الله :**

وحين اذن الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) المسلمين بالهجرة الى الحبشة ، ووجد المسلمون هناك الامن والطمانينة ، بعث بعضهم رسائل شعرية الى اخوانهم المسلمين يرغبونهم في الهجرة فارض الله واسعة ويستطيع المسلم ان يناى عن الذل والهوان فيقول عبد الله بن الحارث :

ياراكبا بلغن عني مغلغلة من كان يرجو بلاغ الله والدين
كل امرىء من عباد الله مضطهد ببطن مكة مشهور ومفتون
انا وجدنا بلاد الله واسعة تنجي من الذل والمخزاة والهون

اما الهجرة الى المدينة المنورة فكانت اختياراً لصبر المسلمين على تحمل فراق الأهل والديار والأحبة ، واللحاق بنبيهم ، وقد صور آحد الشعراء زوجته وهي تثنيه عن الهجرة قائلاً :

لما راتني ام احمد غاديا بذمة من اخشى بغيب وارهب
تقول فاما كنت لابد فاعلا فيمم بنا البلدان ، ولتنا يثرب
فقلت لها : بل يثرب اليوم وجهنا وما يشا الرحمن فالعبد يركب

٣. **الجهاد في سبيل الله :**

لما كتب الله تعالى لدين الله ان ينتشر وان يجد انصاراً من أهل المدينة والمهاجرين كتب عليهم الجهاد وأذن لهم في مقاتلة المشركين، والشاعر المجاهد يدعو الى الصبر في القتال أو الموت في سبيل الله أملاً في الجنة وثواب الاخرة، فهذا أبو الحارث، عُبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب. يرتجز يوم بدر ثم يستشهد في المعركة نفسها . قال قبل استشهاده:

فإن تقطعوا رجلي فإنّي مسلم ** أرجى بها عيشاً من الله دانيا

مع الحور أمثال التماثيل أخلصت ** مع الجنّة العليا لمن كان عاليا

وبعت بها عيشاً تعرقت صفوه ** وعالجته حتّى فقدت الأمانيا

فأكرمني الرحمن من فضل منه ** بثوب من الإسلام غطّى المساويا

وشاعر آخر اسمه عبد الله بن سبرة مجاهد يبارز الروم في أحدى المعارك تقطع يده اليمنى فيفخر بهذا الوسام ويفخر بأنه قطع بها أوصال ارطبون الروم فلا يأسف لانها أدت رسالتها فقال :

يُمنى يديَّ غدت منّي مفارقةً ... لم أستطيع يوم فلطاس لها تبعا
وقائل غابَ عن شأني وقائلةٍ ... هلاّ اجتنبتَ عدو الله إذ صُرِعا
وكيف أركبه يسعى بمُنصلِهِ ... نحوي وأعجز عنه بعدما وقعا
ما كان ذالك يوم الرَّوع من خلقي ... ولو تقارب منّي الموت فاكتنعا
فإنّ يكن أطربون الروم قطّعها ... فقد تركتُ بها أوصاله قِطعا

وكان النصر على الفرس نصراً لمبادئ الخير التي جاء بها الاسلام ، فأعطت الفتوحات الاسلامية الارجاز نفساً جديداً اضاف لشعر الحرب روحاً مثالية .

يقول القعقاع بن عمرو أحد قادة الفتوح وفرسانها في حربه مع الفرس ورغبته في ثواب الجنة :

أزعجهم عمداً بها أزعجهم

أطعن طعناً صائباً

أرجو بها من الجنة أفواجا

أما عروة بن زيد الخيل فإنه سجل بطولاته في حروب المسلمين مع الفرس ، وهو ان ذكر الجنة الا انه تحدث عن نية صادقة في الجهاد لا هدف له من ورائها الا الأجر اما الثروة التي تخطر في بال بعض الفرسان فهو زاهد فيها ، يدفعه الى ذلك صدق العقيدة ، وشعره كان رداً على من حاول تفسير الفتوح الاسلامية تفسيراً مادياً فقال :

ولما دعوا يا عروة بن مهلهل ... ضربتُ جموعَ الفرس حتى تولت
دفعتُ اليهم رحلتي وفوارسي ... وجدتُ سيف فيهم ثم آلتي
وأصبح همي في الجهاد ونيتي ... فلله نفسي أدبرت وتولتِ
فلا ثروة الدنيا نريد اكتسابها ... الا أنها عن وفرها قد تجلتِ

٤. <u>صور أنسانية في شعر الفتوح:</u>

نجد في الشعر الذي قيل في عصر الفتوحات الاسلامية اسمى العواطف الانسانية في علاقات الأفراد بعضهم ببعض وفي انفعالاتهم في الفرح والحزن والخوف والقلق ومن تلك الصور التي رسمها الشعراء المقعدون او الشيوخ الذين قعدت بهم شيخوختهم عن الجهاد، واذا كان هذا الشعر يصور تشبث الآباء بابنائهم وهي حالة سلبية الا انها طبيعية، غير انه يصور من ناحية اخرى اندفاع الابناء على العقيدة ورغبتهم في الجهاد وقد وصف المخبل السعدي حالته عند مشاركة ابنه في الجهاد . يدفعه حب لابنه الى القلق عليه الى درجة الاشراف على الموت اشفاقاً عليه قال :

أيملكني شيبانُ في كل ليلةٍ لقلبٍ من خوْف الفراق وجيبُ
ويُخبرني شيبان أن لم يَعُقَّني تعقّ إذا فارقْتني وتجوب
فأن يك غصني أصبحَ اليوم باليا قديما وغصنك من ماء الشباب رطيبُ
فأني حنت ظهري خطوب تتابعت فمشي ضعيف في الرجال دبيبُ

أنها صورة رائعة لملامح شيخوخة متعبة حاول الشاعر ان يستعطف قلب ابنه فيرده عن عزمه في الجهاد والمشاركة في الفتح .
ويرسم أمية بن الأسكر صورة أخرى لشيخين كبيرين الأب والأم يناشدان (كلاب) أبنهما البقاء ويذكرانه بكتاب الله فيهما، وكان الأبن يطيع داعي الله في الالتحاق بالفتوح فقال الاب:

لِمَنْ شَيْخَانِ قَدْ نَشَدَا كِلابَا كِتَابُ اللهِ إِنْ قُبِلَ الْكِتَابَا
أَنَادِيهِ فَيُعْرِضُ فِي إِبَاءٍ فَلا وَأَبِي كِلابٍ مَا أَصَابَا
إِذَا سَجَعَتْ حَمَامَةُ بَطْنِ وَادٍ إِلَى بَيْضَاتِهَا دَعُوا كِلابَا
أَتَاهُ مُهَاجِرَانِ تَكَنَّفَاهُ فَفَارَقَ شَيْخَهُ خَطِئًا وَخَابَا

والشاعر هنا يشير الى ما ذكر عن ابنه من انه سال مهاجرين من المسلمين عن أفضل الاعمال فاجابا الجهاد في سبيل الله فالتحق بصفوف المجاهدين غير آبه لرجاء والديه . وحين لايحفل كلاب رغبة ابيه في رده عن الجهاد يذهب الشيخ الضعيف الى الخليفة عمر (رض) ويستعطفه ان يرد عليه ابنه بابيات يخاطب فيها زوجته، يظهر من خلالها حنينة الى والده:

أَعَادِلُ قَدْ عَذَلْتَ بِغَيْرِ قَدْرٍ وَلا تَدْرِينَ عَادِلُ مَا أُلاقِي
فَإِمَّا كُنْتِ عَاذِلَتِي فَرُدِّي كِلابًا إِذْ تَوَجَّهَ لِلْعِرَاقِ
سَأَسْتَعْدِي عَلَى الْفَارُوقِ رَبًّا لَهُ دَفْعُ الْحَجِيجِ إِلَى بُسَاقِ
وَأَدْعُو اللهَ مُجْتَهِدًا عَلَيْهِ بِبَطْنِ الأُخْشُبَيْنِ إِلَى دِفَاقِ

ويأمر الخليفة بأعادة كلاب الى ابيه ، وتبقى صورة الابن المجاهد الثابت على عقيدته ومبدئه تتراءى من خلالها لانها لم تؤثر فيه كل النداءات الموجهة لمنعه من الاشتراك في الجهاد .

شعر الأبناء :

ومن تلك الصور ايضا صورة خراش بن ابي خراش الهذلي الذي هاجر ايام الخليفة عمر (رض) مع الجيوش المجاهدة ، فقدم ابوه الى المدينة وكان شاعراً وشكا الى الخليفة شوقه الى ولده وحاجته اليه لكونه شيخاً عاجزاً لا أحد يعينه على قضاء حاجاته وأنشد يقول :

أَلا مَن مُبلِغٌ عَنّي خِراشاً وَقَد يَأتيكَ بِالنَبَإِ البَعيدُ
يُناديهِ لِيَغبِقَهُ كُلَيبٌ وَلا يأتي لَقَد سَفِهَ الوَليدُ

وتبقى أعادة الخليفة عمر (رض) لابن هذا الشيخ صورة انسانية رائعة لرعاية الشيخوخة والاباء علماً ان مثل هذه الصورة لم تكن هي السائدة حقاً فلولا قوة ايمان المسلمين وعقيدتهم في الجهاد وانخراطهم في صفوف الفاتحين لما انتشر الاسلام في بقاع الارض .

وهناك نوع آخر من الصور الانسانية وهي ان روح الحماس الديني طغى على الشباب فجعلهم ينضوون تحت راية الجهاد ، تاركين حياة الأستقرار، متطوعين رغبة لاكرهاً فعندما ينادي المنادي بين جيوش الفتح تتوجه الى تحرير العراق او الشام او فارس حتى يسرع اليه المقاتلون باسلحتهم .

فالنابغة الجعدي يصور في ابيات زوجته المحبة التي ترغبه في البقاء وتذكره بالمودة بينهما وتحاول ان تثنيه عن عزمه ، فيجيبهما جواباً من قوله تعالى : (**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ**) ولم تستثنه كما استثنت الأعمى والأعرج والمريض بفرض الجهاد . قال :

باتَت تُذَكِّرُني بِاللهِ قاعِدَةً وَالدَمعُ يَنهَلُّ مِن شَأنَيهِما سَبَلا
يا بِنَةَ عَمّي كِتابُ اللهِ أَخرَجَني عَنكُم وَهَل أَمنَعَنَّ اللهَ ما فَعَلا
فَإِن رَجَعتُ فَرَبُّ الناسِ يُرجِعُني وَإِن لَحِقتُ بِرَبّي فَابتَغي بَدَلا
ما كُنتُ أَعرَجَ أَو أَعمَى فَيَعذِرَني أَو ضارِعاً مِن ضَنًى لَم يَستَطِع حِوَلا

وهناك احد المجاهدين وهو الحتات الذي حاول اباه وهو شيخ ان يمنعه ويبقيه الى جانبه ولكن عقيدته كانت اقوى من عاطفته لابيه ، وقال في ابيات يتعذر بأنه يجيب داعي لله وأمر الله قبل أمير الوالدين . فقال :

ألاَ مَـــنْ مُبْلِـــغٌ عَنِّـــي ذُرَيْحًـــا فَـــإِنَّ اللَّهَ بَعْـــدَكَ قَـــدْ دَعَـــانِي
فَإِنْ تَسْأَلْ فَإِنِّي مُسْتَقِيدٌ وَإِنَّ الخَيْلَ قَدْ عَرَفَتْ مَكَانِي

ج. وردت عند الشعراء اشارات في وصف المعارك التي خاضوها، فمن ذلك وصف ربيعة بن مقروم لبطولاته في المعركة دون ان يكون لفخره طابع مميز الا في اشارته الى معركة الفيلة التي اقرنت في تحرير العراق فقال:

فدعوا نزال وكنتُ أول نازل وعلام أركبهُ إذا لم أنزل
ودخلتُ أبنية الملوك عليهم ولشر قول المرء ما لم يفعل

د. وصف طبيعة البلاد المفتوحة : ومما يضاف الى عناصر الوصف ما وجد من اشعار وصف البحر في بداية عصر الفتوح ، وذلك ان العرب اعتمدوا ما قبل الاسلام القوافل البرية في تجارتهم ، ولم يعرفوا ركوب البحر الا في مناطق معروفة مثل وصف البحر لامرئ القيس ووصف السفينة في شعر طرفة لأنهما كانا في البحرين المطلة على الخليج العربي ونتيجة لتحرير العراق واجه العرب مشكلة عبور نهر دجلة لملاحقة فلول الفرس المهزومة ، ويعد أول عابر للنهر صاحب الأجر والثواب . قال الشاعر عامر بن مالك الأشعري :

إمضوا على البحر إن البحر مأمور والأول القاطع منكم مأجور
قد خاب كسرى وأبوه سابور ما تصنعون والحديث مأثور

ويصف احد الفاتحين برودة الجو في (مرو) ويعجب من تنكر الارض التي تتابع ثلجها ويشفق على اهلها الذين يقضون الشتاء مقرورين دائماً محتمين بأثواب يدسون أيديهم فيها لشدة البرد كأنهم اسرى قال :

وأرى بمرو الشاهجان تنكّرت أرضٌ تتابع ثلجُها المذرورُ
إذ لا ترى ذا بِزّة مشهورة إلاّ تخال بأنه مقرورُ
كلتا يديه لا تزايلُ ثوبَه كلَّ الشتاء كأنه مأسورُ
أسفا على بَرّ العراق وبحره! إنّ الفؤادَ بشَجْوِه معذورُ

أن هذه الاشعار القلائل التي تصف البرد والشتاء تمثل شعور المسلمين تجاه هذه البيئة الجديدة التي ما اعتادوا عليها من قبل .

هـ. **الرسائل الشعرية :**

أستخدم الشعر لايصال فكرة الشاعر على شكل رسالة شعرية يكتبها الى من يريد ابلاغه بها . ومن ذلك رسالة الحتات الى ابيه وكتب بعض الجنود ابياتاً من الشعر بعثوها الى الخليفة مخبرين عن حالتهم تارة منبهين الخليفة الى حدوث خلاف بين قائدين من قادة الفتح كما ذكر البلاذري وهما سليمان بن ربيعة الباهلي وحبيب بن مسلمة الضهري وتوعد بعضهم بقتل سليمان فقال الشاعر :

إنْ تَقْتُلُوا سَلْمَانَ نَقْتُلْ حَبِيبَكُمْ وَإِنْ تَرْحَلُوا نَحْوَ ابْنِ عَفَّانَ نَرْحَلْ

أن الرسالة الشعرية كانت معروفة متداولة في شعر ما قبل الاسلام فيما يتعلق بايام العرب وحروبها حين يقع الفرسان أسرى في أيدي الاعداء ولا يجدون من يخبر قبيلتهم عن مكانهم او حالهم الا ابيات الشعر ينشدونها فينقلها بعضهم الى قومهم ، وكثيراً ما تكون تلك الاشعار رمزية أو قريبة الى التعمية ليخفي شأنها على الاعداء ولكنها كانت في شعر الفتوحات واضحة في افكارها وصريحة في اسلوبها من ذلك قصيدة ابي المختار يزيد بن قيس الكلابي التي رفع فيها شكواه من عمال الاهواز الى عمر بن الخطاب (رض) واصفاً استغلالهم :

بلغ أمير المُؤْمنين رسالةً ... فأنت أمين الله في النهي والأمرِ
وأنت أمين الله فينا ومن يكن ... أمينا لرب العرش يسلم له صدري
فلا تدعن أهل الرساتيق والقرى ... يسيغون مال الله في الآدم الوفرِ
فأرسل إلَى الحجاج فاعرف حسابه ... وأرسل إلَى جزء وأرسل إلَى بشرِ
ولا تدعوني للشهادة أنني ... أغيب ولكني أرى عجب الدهرِ
إذا التاجر الداري جاء بقارة ... منَ المسك راحت في مفارقهم تجري

ونلمح في الابيات الاخيرة جانب الاجادة الفنية في تصوير استغلال بعضهم المسؤولية الملقاة على عاتقهم والثراء على حساب الاخرين .

و. **الحنين الى الوطن** : ومن الموضوعات التي غذتها الفتوحات الاسلامية واعتطها نكهة خاصة نتيجة بعد الشاعر عن موطنه هو شعر الحنين الى الديار والأهل والاحبة . وقد ورد بعضه مصاحباً للغزل حين يتذكر الشاعر حبيبته فتتهيج عواطفه ، ويذكر دياره ، وصار الحنين جزاً من المقدمة الغزلية ، يقول بشر بن ربيعة الخثعمي ذاكراً خيال أميمة الذي راوده مع بعد المسافة بينه وبين الحجاز وقال الشاعر :

أَلَمَّ خيالٌ من أُمَيمَةَ مَوهِناً ... وقد جَعَلَت أُولى النُجومِ تَغورُ
ونحن بصحراءِ العُذَيب ودارُها ... حجازيةٌ إنَّ المَحَلَّ شَطيرُ
تَحِنُّ بباب القادسية ناقتي ... وسعدُ بنُ وقّاصٍ عليَّ أميرُ
وسعدٌ أميرٌ شرُّهُ دون خيرِهِ ... طويلُ الشذا كابي الزنادِ قصيرُ
تَذَكَّر هَداكَ اللهُ وَقعَ سيوفنا ... بباب قُدَيسٍ والمَكَرُّ عسيرُ
عشيَّةَ وَدَّ القومُ لو أَنَّ بعضهم ... يُعارُ جناحَي طائرٍ فيطيرُ

ولعل اروع شعراء الحنين تلك التي نجدها في الشعراء الذين احسوا بدنو أجلهم فتذكروا أهلهم وأحبابهم وتشوقوا اليهم ورثوا انفسهم ، وتطل علينا قصيدتان رائعتان في رثاء النفس قصيدة كثير بن الغريزة النهشلي وقصيدة مالك بن الريب .

فقد تحركت شجون كثير بن الغريرة حين استشهد بعض أصحابه فرثاهم ببيتين فقط في مطلع القصيدة وانتقل بعدها الى حديث الحنين حين ذكرها لبرق اليماني بأهله الذين يتشوقون الى رؤيته . قال الشاعر :

سقى مزن السحاب إذا استهلت ... مصارع فتيةٍ بالجوزجان
إلى القصرين من رستاق خوطٍ ... أبادهم هناك الأقرعان

وما بي أن أكون جزعت إلا حنين القلب للبرق اليماني
فلا تستبعدا يومي فإني سأوشك مرةً أن تفقداني
وتبكيني نوائح معولات تركن بدار معترك الزمان

واذا كان الحنين الى الوطن ملازماً لشعر الفتوح فأن هناك ميداناً آخر وهو تصويرهم لحالات الاسر أو الاذى حين يقعون بايدي اعدائهم . فهذا اعشى همدان من الشعراء المسلمين الذين اغزاهم الحجاج ببلاد الديلم فأسر وظل أسيراً في ايدي الديلم حتى هرب بمساعدة احدى بنات الاعداء فقال من قصيدة:

تِلكَ الَّتي كانَت هَوايَ وَحاجَتي لَو أَنَّ داراً بِالأَحِبَّةِ تُسعِفُ
وَإِذا تُصِبكَ مِنَ الحَوادِثِ نَكبَةٌ اِصبِر فَكُلُّ غَيابَةٍ سَتَكَشَّفُ
عَجَباً مِنَ الأَيّامِ كَيفَ تَصَرَّفَت وَالدارُ تَدنو مَرَّةً وَتَقَذَّفُ
أَصبَحتُ رَهناً لِلعَداةِ مُكَبَّلاً أُمسي وَأُصبِحُ في الأَداهِمِ أَرسُفُ
وَلَقَد أَراني قَبلَ ذَلِكَ ناعِماً جَذلانَ آبى أَن أُضامَ وَآنَفُ

وهكذا فأن هذه النماذج قد أختلفت في اساليبها الشعرية من حيث أختيار الالفاظ وجزالتها أو شمولها أو عفويتها فان ذلك لا يعني ضعفاً في الحركة الشعرية بقدر ما يعني تعبيره السريع المنفعل عن هذه الاحداث مع اختلاف الشعراء وقابليتهم .

النقائـــــــض الأسلاميـــــــة

المناقضة :- في الشعر تعني ان ينقض شاعر ما قالهُ شاعراً آخر بضد ما جاء به الأول وترجع نواة هذا الفن الى العصر الجاهلي فقد نجد من شعراء ذلك العصر من نظم النقائض وان لهم يلتزم بجميع القيود التي التزمَ بها شعراء النقائض بعد تطور فنها في العصر الأموي .

من مناقضات الجاهلية :-(ماكان بين شُعراء هُذيل – بين امرئ القيس وعُبيد بن الابرص حين قُتل حجر– وبين شُعراء الأوس والخزرج في يوم بُعاث ويوم الربيع).

وقد تطور اسلوب المناقضة حتى جُعل من فن المتناقضين في العصر الأموي فناً متقارباً الى درجةٍ كبيرةٍ اصبحَ الاصلُ فيها ان يتجه شاعر الى آخر بقصيدةً هاجياً او مفتخراً فيعمد الآخر الى الرد عليه هاجياً او مفتخراً ملتزماً بالبحر والقافية والروي الذي اختارهُ الأول .

وطبيعي ان تقوم بين هؤلاء حرب كلامية اتخذت في اكثر الاحيان صورة (المناقضات الشعرية) وفي أخرى صورة (المُراجزات).

سؤال: تميزت النقائض الأسلامية التي انفرد بها الشعراء الاسلاميون بسماتٍ يمكن اجمالها كما يأتي :- الجواب

:١. سمو الموضوعات التي عالجتها ونبل الغاية التي قصدت اليها فموضوعاتها هي الأسلام ودعوتهِ وغايتها اخراج الناس من الظلمات الى النور ومن ضيق الكفر الى سعة الأسلام فقضية المسلم حينَ يُقاتل هي رفعُ كلمة الله وهدفهُ توصيدهُ والى هذا المعنى يشير كعب بن مالك في مناقضتهِ لضرار بن الخطاب يومَ بدرٍ .

فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ وَكُلٌّ مُجَاهِـــدٌ لِأَصْحَابِهِ مُسْتَبْسِلُ النَّفْسِ صَابِرُ

شَهِدْنَا بِأَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ بِالْحَقِّ ظَاهِـــرُ

٢. اذا دافع المسلمون فإنما يُدافعون عن دينهم ضد كُل عدو مهما عظمت كتيبتهُ او كانت معتادةٌ للقتال مدربة عليهِ قال كعب :-

مَجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا كُلَّ فَخْمَـــةٍ مُذَرَّبَـــةٍ فِيهَـا الْقَوَانِـسُ تَلْمَـعُ

٣. اذا حملوا السيوف فإنما هم يحملونها في سبيل الله واعزازاً لدينهِ قال حسان في مناقضتهِ لابن الزبعري :-

بِأَيْدِيهِمْ بِيضٌ إِذَا حَمِشَ الْوَغَى فَلابُدَّ أَنْ يَرْدَى لَهُـــنَّ صَرِيـعُ

بِهِنَّ نُعِزُّ اللهَ حَتَّى يُعَزِّنَـــا وَإِنْ كَانَ أَمْرٌ يَا سَخِينَ فَظِيـعُ

٤. اما معاني هذهِ النقائض فهي على نوعين :-

أ. اسلامية جديدة كالايمان والكفر ، والجنة والنار ، والوحي والملائكة فمن المعاني الأسلامية هذهِ ما وردَ في مناقضة كعب بن مالك لضرار بن الخطاب يوم بدرٍ .

عجبتُ لأمرِ اللهِ واللهُ قَـــادِر على ما أرادَ لَيْسَ للهِ قَاهِـــرُ

قَضَى يَوْمَ بدرٍ أن نلاقيَ معشراً بَغَوْا وسَبِيلُ البَغْيِ بالناسِ جائِرُ

فَلمَّا لَقَيْنَاهُمْ وكلٌّ مُجَاهِـــدٌ لأصْحَابِهِ مُسْتَبْسِلُ النَّفْسِ صَابِرُ

شَهِدْنا بأَنَّ الله لا رَبَّ غيـــرهُ وأنَّ رسولَ اللهِ بالحقّ ظَاهِـرُ

فَكُبَّ أَبو جَهْلٍ صَريعاً لِوَجْهِـهِ وعتبةُ قَدْ غادَرْنَهُ وَهْوَ عَائِـرُ

وشَيبةُ والتيميَّ غادرْنَ في الوَغى وما مِنْهُمُ إلاّ بذي العَرْشِ كافِرُ

فأمْسُوا وقُودُ النّارَ في مستقَرّهَا وكلّ كفورٍ في جهنَّم صَائِـــرُ

تَلَظَّى عليهِمْ وَهْيَ قَدْ شُبَّ حَمْيُهَا بِزُبْرِ الحَدِيدِ والحجارةِ سَاجِـرُ

وكانَ رَسُولُ اللهِ قد قَالَ أَقبِلُـــوا فولّوا وقالوا إنّما أنتَ سَاحِـــرُ

لأمرٍ أرادَ اللهُ أَنْ يهلِكُـــوا بِـــهِ وَلَيْسَ لأمرٍ حَمَّةُ اللهُ زاجِـــرُ

- وهذه المعاني الأسلامية كثيرة مبثوثة في جميع النقائض الاسلامية .

ب. معاني أخرى قريبة من المعاني الجاهلية ، تعالج المآثر والاحساب ، والمثالب والايام ، والتهديد والوعيد .

وهي كثيرة منها جاءت في قول كعب بن مالك ناقض فيها هُبيرة بن ابي وهب معدداً مآثر قومهِ ، مفتخراً الى درجة المُبالغة مُهدداً ومتوعداً المشركين .

وَنَحْنُ أُنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّـةً عَلَى كُلِّ مَنْ يَحْمِي الذِّمَارَ وَيَمْنَـعُ

جِلَادٌ عَلَى رَيْبِ الْحَوَادِثِ لَا نَرَى عَلَى هَالِكٍ عَيْنًا لَنَا الدَّهْرَ تَدْمَـــعُ

- والفنون التي عالجتها هذهِ النقائض فهي نفس الفنون الجاهلية المعروفة من مديح وهجاء وفخر ونحوها مع تعديل في الاتجاه وعفةٌ في الألفاظ .

٥. امتازت هذه النقائض بتكرار الفنون وتداخل بعضها في القصيدة الواحدة فالشاعر يفخر ثم يمدح ثم يهجو ثم يعود الى الفخر ثانيةً وبعدها الى الهجاء وهكذا ففي نقيضة كعب لضرار نراهُ يفخر في اولها بالصبر والتوكل على الله قائلاً:-

وَسَائِلَةٍ تُسَائِلُ مَا لَقِينَـــا وَلَوْ شَهِدَتْ رَأَتْنَا صَابِرِينَا

صَبَرْنَا لَا نَرَى لِلهِ عَـــدْلًا عَلَى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَـــا